جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الثالث والأربعون
الجزء الثاني/ أيار/٢٠٢١

واو الثمانية عند البلاغيين
(الزمخشري وابن عاشور أنموذجاً)

أ.م.د. عمر حليل حمدون الهاشمي
جامعة الموصل / كلية التربية / قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

المستخلص:

أبدى النحاة موقفهم من هذه الواو كما سنذكره في التمهيد ، لكن بقي أن نبحث عن موقف البلاغيين منها ، ولاسيَّما أنّ الواو لها دور مهم عندهم إذ يقوم عليها أهم بحث عندهم وهو الفصل والوصل كما سنقف عليه في التمهيد أيضاً ، ونظرا لما تقتضيه طبيعة ومحدودية الكتابة في هذا البحث ، فقد اقتضت الدراسة التركيز على شخصيتين مهمتين في هذا الميدان هما جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، و محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، وذلك لما كان لهما من بروز واضح وتميز ظاهر في هذا التخصص ،ولما للاول من فضل السبق في تطويرها وتنميتها ولما للثاني من العناية بها وتوظيفها في العهد الحديث.

الكلمات المفتاحية: شرط، انتقاء، دلالة ، معاني، بياني .

Wow Althmania when rhetoricians
(Al-Zamakhshari and Ibn Ashour - a model
)

Asst. prof. Dr. Omar Haleel Hamdoun Al-Hashemi
Mosul University / College of Education / Department of Quranic Sciences and Islamic Education

ABSTRACT

The grammarians expressed their position on this waw as we will mention it in the preface, but it remains to be searched for the rhetoric's position on it, especially since the waw has an important role for them, as it is based on their most important research, which is the separation and the connection. This research, the study required focusing on two important personalities in this field, namely Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed Al-Zamakhshari (d.538 AH) and Muhammad Al-Taher bin Ashour (d.1393 AH), because of their clear prominence and apparent distinction in This specialization, and because the first has the merit of being

ahead in its development and development, and the second has taken care of it and employed it in the modern era.

Key words: condition, selection, connotation, meanings, graphic.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد : فالقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، الذي لا تنقضي عجائبه في كل شيء من أشيائه، ومنها إسلوبه المعجز، ولما كان القران كذلك أقبل اليه العلماء والدارسون ، فاستنبطوا منه شتى العلوم والفنون ، ومن العلوم التي اعتنى بها العلماء لغة القرآن ومنها حروف المعاني ، وتكمن اهمية حروف المعاني في انها أحدى الادوات التي يجب على المفسر أن يمتلك المعرفة بها ليكون على بصيرة وهو يتعامل مع أقدس كلام وأجله ألا وهو القرآن الكريم ، ومن القضايا التي ذكرها العلماء في حروف المعاني (واو الثمانية) .

وقد بنى البحث على تمهيد وخمسة مطالب بنيت في ترتيبها على ترتيب السور في المصحف ، ثم جاءت الخاتمة لتحصد أهم النتائج التي توصل اليها البحث .

وأخيرا أقول إن أصاب البحث فيما درسه فذلك فضل من الله تعالى ، وإن اخطأ فحسبه أنه محاولة علمية قد تصيب وقد تخطأ ، وأرجو من الله ﷻ في كلا الحالين الأجر والثواب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

لقد دار حديث المفسرين وعلماء النحو عن واو الثمانية منطلقين من استنباطاتهم القرآنية والذي دفعهم إلى هذا الاستنباط آيات في كتاب الله فيها إشارات احداها من جهة اللفظ وأخرى من جهة المعنى وهذه الآيات هي :١١٢/التوبة و ٢٢/الكهف و ٧٣ /الزمر و ٥ /التحريم و ٧/الحاقة.

وقد أدلى النحاة بدلوهم في هذه المسألة فظهر عندهم اتجاهان متقاطعان احدهما يثبت هذه الواو والأخر ينفيها ويمكن لنا أن نختصرها بالآتي :

١- فريقٌ يقول بهذه الواو وكان من أبرز المثبتين لها ابن خالويه (٣٧٠هـ) (ابن خالويه، ١٩٨١: ٣١)، والحريري (ت٥١٦هـ) (الحريري، ١٩٩٦: ٣١)، والرازي(ت٦٦٠هـ).

٢- فريقٌ لا يرى القول بها، ومن ابرز النافين لها الهروي(ت ٤١٥هـ) (الهروي، ١٩٩٣: ٢٣١) ، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، والسهيلي (ت٥٨١هـ) (ابن هشام، ٢٠٠٥: ٣/٨٢-٨٣)، وابن القيم (ت٧٥١هـ) (ابن القيم، د. ت : ٣/٥٤)، وابن هشام (ت٧٦١هـ) (ابن هشام، ٢٠٠٥ : ٢/٢٥).

وعند الرجوع إلى علماء البلاغة نجدهم أهتموا كثيراً بالكلمة ووضعوا شروطاً للحكم عليها بالفصاحة وكذلك اهتموا بالحرف الذي هو احد أقسام الكلمة الثلاثة إلا إن دراستهم لها لم تأت مستقلة بل أدرجوها في التراكيب فدرسوها ضمن مبحث الاستفهام والنداء والشرط ...الخ ومن اهم المباحث التي أهتموا بها والتي كان للحرف دور مهم وأساس فيها وخصوصاً الواو هو مبحث الفصل والوصل الذي يعد عندهم من أهم البحوث بل جعلوه البلاغة بأسرها، فقد سئل أحدهم عن البلاغة فقال: معرفة الفصل والوصل(الجاحظ ،١٤٢٣هـ:١/٩١)، وقد شرح عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) سبب عد البلاغة معرفة الفصل والوصل بقوله: "ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة" (الجرجاني ،١٩٩٢م:٢٢٢)، وقال أيضاً: "وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلاّ وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب...." (الجرجاني ،١٩٩٢م:٢٣٧)، فهو "فن جليل المقدار كثير الأسرار"(الزملكاني،١٩٥٧ م:٢٦٠، والعلوي ،١٤٢٣ هـ:٣/ ١٦٩) ،حتى قالوا فيه" لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكنهه، إلا من أو تي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا"(القزويني ، د.ت : ٣/ ٩٧) وللفصل والوصل أثر كبير في تلوين الجملة(حسين،٢٠٠٧م:٨٠)، ولذا نجد البلاغيين قد خرجوا بالأدوات الرابطة التي يطلق عليها حروف المعاني عما تؤديه من وظيفية نحوية الى أمور وراء ذلك من حيث قدرتها على الربط بين الجمل والمفردات(عبدالمطلب ، ١٩٩٤م :٢٨٤).

أهمية الفصل والوصل عند البلاغيين تنبثق من كونه"من ابرز القضايا المرتكزة على الذوق البياني ،لمالها من صلة بالمعنى المراد ،فكم من متكلم افسد معناه بالوصل ،ولم يكن حقه كذلك ،أو بالفصل والموضع موضع وصل ،لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف ترك تارة ووجد أخرى بل هو امر متعلق بالمعنى الذي لايصلح إلا بالوصل حينا وبالفصل آخر" (عباس ،١٩٩٤م :٣٩٢)،وقد انصب جلّ اهتمام البلاغيين في هذا الباب على الواو متجاوزين العطف بغيرها قائلين إن الواو من بين حروف العطف هي التي لاتفيد سوى مجرد الإشراك في الحكم ومطلق الجمع فالعطف بها دقيق مشكل أما غيرها من حروف العطف فتفيد مع التشريك في الحكم معاني اخرى، فـ(الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي، و(أو) تفيد تردد الفعل بين شيئين أو التخيير أو الاباحة ولذا لم يشكل العطف بتلك الاحرف(الجرجاني ،١٩٩٢م : ٢٣١، القزويني،د.ت :٦٢/٢،سلطان ،د.ت :٦٥، فيود، ٢٠٠٤م:٣٤٥).

اذاً لم يتعرض البلاغيون فيما كتبوه عن الفصل والوصل لمعاني الواو غير أنها تفيد الجمع والتشريك ، فلم يتعرضوا لمعانيها ، ومنها انها تأتي مع العدد ثمانية أو الذي في ترتيبه الثامن أو الذي

هو في المعنى ثامنا ،فهم اذاً لم يتعرضوا للواو التي اطلق عليها النحاة انها(واو الثمانية) ، لكن يمكن أن نستكشف موقف البلاغيين من خلال الوقوف على كلام بعض البلاغيين الذين كتبوا في التفسير مما جعل تفاسيرهم تعد من قبيل التفاسير البلاغية اذ غلب على تفسيرهم الطابع البلاغي وان كانت تعج بالعلوم الاخرى ومن هؤلاء المفسرين الذين وقع اختيار البحث عليهما الزمخشري وابن عاشور ويمكن ان نعلل اختيارنا هذا ان الاول منهما اعني الزمخشري يعد من ابرز البلاغيين ان لم نقل رائدهم فيمن كتب في البلاغة قديما واعني بذلك من طبقة المفسرين،واما الثاني فشهرته لا تقل عن الاول في ميدان البلاغة في طبقة المفسرين المعاصرين،ولعل سائلا يسأل ويقول:لماذا جعلت موقف هذين العالمين الجليلين محسوبا على البلاغيين ولماذا لم تعدهما من النحاة الذين كان لهم موقف من واو الثمانية ،إذ الاول فضلاً عما حواه تفسيره من المسائل النحوية له مؤلفات عظيمة في النحو شغلت العلماء والدارسين منذ ظهورها الى وقتنا الحاضر، وأما الآخر فما كتبه في تفسيره وما حواه من قضايا نحوية وصرفية ولغوية كفيلة بان تجعله في مصاف النحاة المعاصرين بل المبرزين منهم، ويمكن للباحث ان يجيب عن هذا السؤال بان ماقاله السائل صحيح إلاّ ان العلة في جعل موقف هذين العالمين الجليلين هو موقف البلاغيين جميعا انهما يعدان من أبرز من كتب في مجال التفسير البلاغي،يقول الدكتور محمد حسين الذهبي(ت ١٣٩٧ هـ) متحدثا عن قيمة الكشاف العلمية : "وأما قيمة هذا التفسير. فهو – بصرف النظر عما فيه من الاعتزال – تفسير لم يُسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآنى وبلاغته، وليس كالزمخشرى مَن يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم،لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب،والمعرفة بأشعارهم،وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمى والأدبى على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلَّق به قلوب المفسِّرين"(الذهبي،د.ت:١/٣٠٦-٣٠٧)، وقال الدكتور فهد الرومي: "اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته وتميز بذلك حتى كان مرجعا في ذلك" (الرومي ،١٤١٩هـ : ١٥٣).

وهذان النصان اللذان نقلناهما هو ماقاله أستاذان من أساتذة التفسير وعلوم القران ،اما ما قاله البلاغيون عن تفسير الزمخشري وقيمته البلاغية فمن الصعب ان يحصر بكلمات معدودة ولكن نكتفي بما قاله شيخ البلاغيين المعاصرين عن الزمخشري وتفسيره وهو الدكتور محمد ابوموسى : "فمن الواضح أن بلاغة الكشاف كانت نهاية مرحلة متميزة في الدراسة البلاغية إذ هي الامتداد الحق لدراسة عبدالقاهر الجرجاني، هذه الدراسة التي يشعرنا فيها صاحبها أنه ينشئ القول إنشاء ،أو يبسط

فكراً غائمة في دراسة من سبقه وهو يحاول أن يمكّن ما يقول في نفوس معاصريه ، وأن ينقشه في صدورهم ويبثه في سويداء قلوبهم.... " (ابوموسى ،د.ت : ٥)،ويقول أيضاً : "وإذا كان الزمخشري قد طبق كثيراً مما قرره عبدالقاهر الجرجاني فقد أضاف أصولاً بلاغية هامة لم يعرض لها عبدالقاهر ونمى كثيراً من الأصول السابقة وحرر كثيراً من المسائل" (ابوموسى،د.ت:٥).

أما الشيخ الطاهر ابن عاشور فقد كشف في تفسيره عن الصورة البلاغية التي تضمنتها ايات الكتاب العزيز ولفت الانظار الى ما اشتملت عليه من لمحات دالة وخفايا بلاغية لاتتكشف الا لمن تمرس باساليب العربية وحذق افانينها(الغالي، ١٩٩٦م :٢١٩و٢٣٢-٢٣٣)،ولذا نجده في مقدمة تفسيره انه يهتم كثيرا بعلمي المعاني والبيان: "وهو ما اولاه الاهمية الاولى في تفسيره التحرير حتى بدا ظاهرا جليا في مجموعه كله،بل هو السمة الظاهرة على غيره من المسالك مما يجعل تفسيره يصنف ضمن(التفاسير البلاغية)ويعلل الطاهر لاهمية علمي البيان والمعاني بقوله:" لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية "(ابن عاشور،٢٠٠٠م : ١٩/١) ،ويقول: "وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن" (ابن عاشور،٢٠٠٠م : ٢١/١)،(الغزالي،١٤٣٥هـ: ٣٨)،هذا وغيره من الاسباب التي لاتخفى على دارسي البلاغة رجحت اختيار هذين العلمين ليكونالمبرزين لموقف البلاغيين قديما وحديثا من(واو الثمانية) والله اعلم.

المطلب الاول :

قول الزمخشري وابن عاشور في واو قوله تعالى:﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾التوبة: ١١٢ ذكر الحق ﷻ في هذه الآية تسع صفات للذين باعوا انفسهم وأموالهم لله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾التوبة: ١١٢، فالاية الكريمة ذكرت تسع صفات للذين باعوا انفسهم وأموالهم لله "وترتيب هذه الصفات في غاية من الحسن ، إذا بدأ أولاً بما يخص الإنسان مرتبة على ما سعى ، ثم بما يتعدى من هذه الأوصاف من الإنسان لغيره وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم بما شمل ما يخصه في نفسه وما يتعدى إلى غيره وهو الحفظ لحدود الله"(الاندلسي ، ٢٠٠١م:١٠٧/٥) ،ونلاحظ ان الواو دخلت على الصفة الثامنة(وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ) كما نلاحظ ان الصفة الثامنة مغايرة للصفة السابعة فالنهي عن المنكر غير الأمر بالمعروف ،والمنكر مغاير للمعروف(الخالدي، ٢٠٠٩م:٤١)،إذاً موطن الشاهد اعني الخلاف بين العلماء هو في الواو هل هي واو الثمانية أو لا؟ أما البلاغيون فانهم فسروا مجيء هذه الواو في الآية الكريمة بانها جاءت"لان الصفات لا يعطف

بعضها على بعض الا اذا كانت متضادة ...من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ التوبة: ١١٢ توالت الصفات بلا عطف ماعدا صفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاءت الواو بينهما لانهما متضادان"(فيود ،٢٠٠٤م : ٣٤٩)،لان "النهي يراد به منع الفعل وابقاؤه على العدم والامر يراد ايجاد الفعل ،والعدم والوجود متضادان لايجتمعان" (عامر،١٩٧٥م : ١٨٠)،اذا البلاغيون موقفهم من هذه الواو انها ليست(واو الثمانية) وانما هي واو دخلت بين الصفات لان بين صفتي(ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ) تضاد كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣ اما اذا انتفى هذا الشرط بين الصفات اعني لم يكن بين الصفات تضاد فانها تذكر بلا عطف كما في الاية الكريمة ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ وكقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ الحشر: ٢٣ ،قال العلائي (ت ٧٦١هـ) رحمه الله : "وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ التَّحْقِيق أَن الصِّفَات إِذا قصد تعدادها من غير نظر إِلَى جمع أَو انْفِرَاد لم يكن ثمَّ عطف وَإِن أُرِيد الْجمع بَين الصفتين أَو التَّنْبِيه على تغايرهما عطف بالحرف وَكَذَلِكَ إِذا أُرِيد التنويع لعدم اجْتِمَاعهمَا فَإِنَّهُ يُؤْتى بالْعَطْف أَيْضا وَكَذَلِكَ إِذا قصد رفع استبعاد اجْتِمَاعهمَا لموصوف وَاحِد فَإِنَّهَا تعطف أَيْضا ... فَإِن الْعَطف جَاءَ ... رفعا لاستبعاد من يستبعد اجْتِمَاع هَذِه الصِّفَات فِيهِ فَقَوله تَعَالَى {هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ} إِنَّمَا عطفت لِأَنَّهَا أَسمَاء متضادة الْمعَانِي فِي أصل الْوَضع فَرفع الْوَهم بالْعَطْف عَن من يستبعد ذَلِك فِي ذَات وَاحِدَة فَإِن الشَّيْء الْوَاحِد لَا يكون بَاطِنا ظَاهرا من وَجه وَاحِد فَكَانَ الْعَطف هَا هُنَا أحسن" (العلائي،١٩٩٠م :١٤٢-١٤٣).

وإذا جئنا الى الامام الزمخشري فاننا نجده لم يتعرض لهذه المسألة البتة في تفسيره لهذه الاية الكريمة،فلم يقف على هذه الواو اصلا ولم يذكر حتى سبب العطف بين صفتي (ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ) و(وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ) فقد قال:" التائبون رفع على المدح. أى: هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين. ويدل عليه قراءة عبد الله وأبى رضى الله عنهما: التائبين، بالياء إلى: والحافظين، نصبا على المدح. ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين. وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف، أي: التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا، كقوله﴿ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ النساء: ٩٥، وقيل: هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون. ويجوز أن يكون مبتدأ

وخبره العابدون، وما بعده خبر بعد خبر، أى: التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن الحسن: هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق. والعابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها. والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم. وقيل: هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه"(الزمخشري،١٤٠٧هـ : ٣١٤/٢)،وقد قلنا هذا النص على طوله لنبيّن للقارئ أن الزمخشري لم يتعرض لهذه الواو متقصدا بدليل أننا لو تتبعنا هذه المسألة عند من سبق الزمخشري أو عاصره لوجدناها حاضرة عند بعض المفسرين ولايستبعد أن يكون الزمخشري قد اطلع عليها،ومن الذين سبقوا الزمخشري في ذكر هذه الواو ابو الليث السمرقندي(ت٣٧٣هـ) رحمه الله فقد قال في تفسيره: "وقال بعض أهل العربية في الآية دليل على أن أبواب الجنة ثمانية لأنه قد ذكر بالواو وإنما يذكر بالواو إذا بلغ الحساب ثمانية ...كما قال ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ﴾ التوبة: ١١٢ فذكرها كلها بغير واو فلما انتهى إلى الثمانية قال﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ "(السمرقندي ، ١٩٩٣م :١٥٩/٣)،وكذلك ابو اسحاق الثعالبي(ت٤٢٧هـ) فانه رحمه الله نقل عن شيخه أنه سمى هذه الواو بـ واو الثمانية فقال: "حكى شيخنا عبد الله بن حامد عن أبي بكر بن عبدش أنها تسمى واو ثمانية،قال: وذلك أن من عادة قريش أنهم يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واوا فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ ﴾[سورة الحاقة: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ﴾ ، فلما بلغ الثامن من الأوصاف قال ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢، وقال تعالى:﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ "(الثعالبي،٢٠٠٢م :٢٥٧/٨-٢٥٨)،ولو رجعنا إلى احد معاصري الزمخشري وهو ابن عطية(ت٥٤٢هـ) لوجدناه يقف عند تفسير هذه الآية على الواو في قوله تعالى: (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ ويذكر ان من العلماء من سماها بـ(واو الثمانية)لكنه لم يوافقهم الرأي وإنما عدها من ضروريات النص وكأنه يشير الى ماذهب اليه بعد ذلك البلاغيون من أن هناك كلمات بين معانيها تضاد ينبغي ان يعطف بينهما ،من هذه الكلمات(ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ) وقد تقدم لنا الكلام عن البلاغيين في هذا آنفاً،قال ابن عطية رحمه الله: "وقيل هي واو الثمانية لأن هذه الصفة جاءت ثامنة في الرتبة، ومن هذا قوله في أبواب الجنة﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣ ، وقوله﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢ ، ومن هذا قوله ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم:

٥، قال القاضي أبو محمد: على أن هذه تعترض حتى لا يلزم أن يكون واو ثمانية، لأنها فرقت بين فصلين يعمان بمجموعهما جميع النساء، ولا يصح أن يكون ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم: ٥، فهي فاصلة ضرورة، وواو الثمانية قد ذكرها ابن خالويه، في مناظرته لأبي علي الفارسي في معنى قوله ﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣، وأنكرها أبو علي، وحدثني أبي رضي الله عنه عن الأستاذ أبي عبد الله الكفيف المالقي وكان ممن استوطن غرناطة وقرأ فيها في مدة ابن حبوس أنه قال: هي لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم أن يقولوا إذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة، فهكذا هي لغتهم، ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو"(ابن عطية ، ١٩٩٣م : ٨٩/٣-٩٠).

اما الذين جاؤوا من بعد الزمخشري فانهم ما انفكوا يقفون عند هذه الواو كالرازي(ت٦٠٦هـ) (الرازي، ١٤٢٠هـ : ٤٤٩/٢١)، والقرطبي(ت٦٧١هـ) (القرطبي ، ٢٠٠٣م : ٢٧١/٨)، والبيضاوي(ت٦٨٥هـ) (البيضاوي ، ١٤١٨هـ :٩٩/٣) وغيرهم.

ومن الذين صوبوا ما ذهب اليه الزمخشري من عدم عدها واو الثمانية ابن المنيّر(ت٦٨٣هـ) في حاشيته التي تتبع فيها القضايا الاعتزالية في تفسير الزمخشري لكنه لم يتحدث عنها في هذا الموضع ولكن عند قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢،إذ قال في ضمن تعليقه: " وربما عدوا من ذلك (وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ) وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط، ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما، كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ لقمان: ١٧"(الزمخشري، ١٤٠٧هـ :٦٨٦/٢)، وقد أيد الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت١٤٢٩هـ) ابن المنير فقال:" ونضيف إلى ما ذكره ابن المنير ما يأتي:إن الواو كما دخلت على: (والناهُونَ) دخلت على (والحَافظونَ) وهى التاسعة فهلَّا قالوا بأنها واو التسعة، مشابهة لتلك؟ وحيث لم يسغ لهم هذا القول فما الفرق – إذن – بين الواوين الداخلتين على: (والناهُونَ)،(والحَافِظونَ)؟ أرى أن ليس فيما ذكروه حُجة لهم على هذه الواو الذعاة"(المطعني،١٩٩٢م :١٦/٢)، ويمكن لنا ان نستشف من قول ابن المنير:"لما بينهما من التناسب والربط" ان المراد من المناسبة التي قصدها ابن المنير هي التضاد والتي تحدث عنها البلاغيون وجعلوها شرطا في دخول العطف بين الصفات كما تقدم.

وهكذا ما انفك المفسرون يذكرون هذه الواو حتى اذا وصلنا الى مفسرنا الثاني وهو ابن عاشور نجده

يطيل في هذه المسألة فذكر اولا بلاغة دخول حرف العطف على هذه الصفة على هذدون بقية الصفات فقال : "وإنما ذكر الناهون عن المنكر بحرف العطف دون بقية الصفات، وإن كان العطف وتركه في الأخبار ونحوها جائزين، إلا أن المناسبة في عطف هذين دون غيرهما من الأوصاف أن الصفات المذكورة قبلها في قوله:﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ ظاهرة في استقلال بعضها عن بعض. ثم لما ذكر الراكعون الساجدون علم أن المراد الجامعون بينهما، أي المصلون بالنسبة إلى المسلمين. ولأن الموصوفين بالركوع والسجود ممن وعدهم الله في التوراة والإنجيل كانت صلاة بعضهم ركوعا فقط، قال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ص:٢٤ ، وبعض الصلوات سجودا فقط كبعض صلاة النصارى، قال تعالى:﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ آل عمران:٤٣، ولما جاء بعده الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وكانا صفتين مستقلتين عطفتا بالواو لئلا يتوهم اعتبار الجمع بينهما كالوصفين اللذين قبلهما وهما الراكعون الساجدون فالواو هنا كالتي في قوله تعالى: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم: ٥"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٤١/١١)، ثم رجع بعد ذلك إلى بيان موقف العلماء من الواو في قوله(﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾) فذكر انه تسمى (واو الثمانية) فقال:"وقال جمع من العلماء: إن الواو في قوله: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ التوبة: ١١٢ واو يكثر وقوعها في كلام العرب عند ذكر معدود ثامن، وسموها واو الثمانية"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م:٤٢/١١)، ثم نقل كلام ثلاثة علماء هم ابن عطية وابن هشام والقرطبي ثم بيّن بعد ذلك رأيه في المسألة، فبدأ بـ ابن عطية فنقل كلامه في موضعين:

الاول: قال فيه"قال ابن عطية:ذكرها ابن خالويه في مناظرته لأبي علي الفارسي في معنى قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ الزمر:٧٣، وأنكرها أبو علي الفارسي" (ابين عاشور ،٢٠٠٠م : ١٠٢/٣)(ابن عطية ،١٩٩٣م :١٠٢/٣)،ثم اعقبه بنص ابن هشام في مغني اللبيب وكأنه يريد ان يعرض ادلتهم والايات التي استدلوا بها من خلال كلام ابن هشام فقال رحمه الله :"وقال ابن هشام في «مغني اللبيب» «وذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا: ستة سبعة وثمانية، إيذانا بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف، واستدلوا بآيات إحداها: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ – إلى قوله سبحانه– ﴿ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢ ، ثم قال: الثانية آية الزمر [٧١] إذ قيل: فتحت في آية النار لأن أبواب جهنم سبعة، وفتحت [الزمر: ٧٣] في آية الجنة إذ أبوابها ثمانية. ثم قال: الثالثة: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ ﴾ فإنه الوصف الثامن. ثم قال: والرابعة: وأبكارا في آية التحريم [٥] ذكرها القاضي الفاضل وتبجح باستخراجها وقد سبقه إلى ذكرها الثعلبي ... وأما قول الثعلبي: أن منها الواو في قوله تعالى:﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة: ٧ فسهو بين وإنما هذه واو العطف ا.هـ. وأطال في خلال كلامه بردود ونقوض"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٤٢/١١)(ابن هشام ، ٢٠٠٥م :٢٥/٢-٢٦).

ثم نقل النص الثاني لابن عطية فقال: "وقال ابن عطية «وحدثني أبي عن الأستاذ النحوي أبي عبد الله الكفيف المالقي،وأنه قال: هي لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم أن يقولوا إذا عدوا: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، تسعة، عشرة، فهكذا هي لغتهم. ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو» اهـ"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٤٢/١١-٤٣)(ابن عطية، ١٩٩٣م :١٠٢/٣)،ثم نقل كلام القرطبي بعد كلام ابن عطية مباشرة فقال:"وقال القرطبي: هي لغة قريش"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٤٣/١١)(القرطبي،٢٠٠٣م :٢٧٢/٨)، وكأنه يريد أن يبين أن اللغة الفصيحة التي وردت في كلام ابن عطية،قد بيّنها القرطبي بقوله: هي لغة قريش.

ثم بين رأيه في اثبات واو الثمانية وذكر ان العبرة بكون العدد ثامنا في الذكر لا في الرتبة فقال: "وأقول: كثر الخوض في هذا المعنى للواو إثباتا ونفيا، وتوجيهاً ونقضاً. والوجه عندي أنه استعمال ثابت، فأما في المعدود الثامن فقد أطرد في الآيات القرآنية المستدل بها. ولا يريبك أن بعض المقترن بالواو فيها ليس بثامن في العدة لأن العبرة بكونه ثامنا في الذكر لا في الرتبة،وأما اقتران الواو بالأمر الذي فيه معنى الثامن كما قالوا في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣،فإن مجيء الواو لكون أبواب الجنة ثمانية، فلا أحسبه إلا نكتة لطيفة جاءت اتفاقية. وسيجيء هذا عند قوله تعالى في سورة الزمر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣"

(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٤٣/١١).

مما يتقدم يتبين للباحث أن الزمخشري لم يذكرها أصلا وكأنه لايعتد بها وانه من النافيين لها،أما ابن عاشور فذكر انه استعمال ثابت في اللغة وانه مطرد في المعدود الثامن في الترتيب الذكري في الايات القرانية،أما الذي يأتي في الترتيب الثامن في المعنى فهي نكتة لطيفة استخرجها العلماء بأذهانهم الثاقبة فجزاهم الله خير الجزاء،لكن هل هذا الموقف من واو الثمانية سيبقى منهما في الاية التي سنقف عليها في المطلب الثاني أو سيتغير؟.

المطلب الثاني

قول الزمخشري وابن عاشور في واو قوله تعالى:﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢

هذه الواو وردت في سياق قصة الفتيان في سورة الكهف قوله تعالى:﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٢

هذه الآية تذكر الاختلاف في أعداد أصحاب الكهف وتذكر ثلاثة أقوال فيهم ،وقد ذكر كلبهم معهم في القولين السابقين بدون عطف بينما عطف القول الثالث كلبهم عليهم بالواو:" ﴾ ﴿ " (الخالدي ،٢٠٠٩م :٤١)، وتنحصر الأقوال في هذه الواو بثلاثة اوجه هي (الحلبي، د.ت : ٤٦٧/٧):

الأول: أنها عاطفةٌ (المرادي ،١٩٩٢م :١٦٨)، عَطَفَتْ هذه الجملةَ على جملةِ قولِه «هم سبعة» فيكونون قد أَخبَرو بخبرين، أحدُهما: أنهم سبعةُ رجالٍ على البَتِّ. والثاني أنَّ ثامنَهم كلبُهم، وهذا يُؤْذِنُ بأنَّ جملةَ قولِه﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مِنْ كلام المتنازِعِيْنَ فيهم.

الثاني: أنَّ الواوَ للاستئنافِ، وأنَّه مِنْ كلامِ الله تعالى أخبر عنهم بذلك. قال هذا القائلُ: وجيءَ بالواوِ لتعطي انقطاعَ هذا ممَّا قبله ،قال ابن هشام : "وَقيل الْعَطف من كَلَام الله تَعَالَى وَالْمعْنَى نعم هم سَبْعَة وثامنهم كلبهم وَإِن هَذَا تَصْدِيق لهَذِهِ الْمقَالة كَمَا أَن ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، تكْذِيب لتِلْك الْمقَالة وَيُؤَيِّدهُ قَول ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا حِين جَاءَت الْوَاو انْقَطَعت الْعدة أَي لم يبْق عدَّة يلْتَفت إِلَيْهَا،فَإِن قلت إِذا كَانَ المُرَاد التَّصْدِيق فَمَا وَجه مَجِيء﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، قلت وَجه الْجُمْلَة الأول توكيد صِحَة التَّصْدِيق بِإِثْبَات علم الْمُصدق وَوجه الثَّانِيَة الْإِشَارَة إِلَى أَن الْقَائِلين تِلْكَ الْمقَالة الصادقة قَلِيل أَو أَن الَّذِي قَالَهَا مِنْهُم عَن يَقِين قَلِيل أَو لما كَانَ التَّصْدِيق فِي الْآيَة خفِيا لَا يَسْتَخْرِجهُ إِلَّا مثل ابْن عَبَّاس قيل ذَلِك وَلِهَذَا كَانَ يَقُول أَنا من ذَلِك الْقَلِيل هم سَبْعَة وثامنهم كلبهم".

الثالث: أنها الواوُ الداخلةُ على الصفةِ تأكيداً، ودلالةً على لَصْقِ الصفةِ بالموصوفِ. وإليه ذهب الزمخشري.

وقد توقف الزمخشري عند هذه الواو لكنه لم يذكر انها(واو الثمانية) وانما ذكر فائدة هذه الواو متجاوزا القول بأنها واو الثمانية، وقد قدم هذه الفائدة بطريقة الفنقلة فقال: "فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأولين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر.

ومررت بزيد وفي يده سيف. ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ الحجر: ٤ وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم. والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ وأتبع القول الثالث قوله ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴾ ،وقال ابن عباس رضى الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة، أى: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها. وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات"(الزمخشري ،١٤٠٧هـ :٢/٧١٣-٧١٤)،هذا الكلام الذي قاله الزمخشري يحتوي على عدة فوائد ينبغي علينا ان نقف عليها ونتأمل طريقته في عرض هذه الفوائد،أولاً قدم المسألة بطريقة السؤال وهي احدى التي تستخدم لتنبيه السامع والقارئ الى أمر مهم ينبغي عليه أن لايدعه يمر عليه مرور الكرام فضلاً عن أن لها فائدة وهي ترسيخ المعلومة في الذهن ،ثم بعد ذلك اتبع طريقة التدرج مع السائل في تقديم الفائدة له فنبه الى ان هذه الواو هي الواو الداخلة على الجمل التي تقع صفات بعد النكرات واحوال بعد المعارف وقد مثل لها بمثالين ثم ذكر الاية الكريمة ثم ذكر فائدة دخول هذه الواو بأنها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ومن ثم فإن اتصافه بها أمر ثابت مستقر لتدل لنا أي(الواو) دلالة وضعية على ان عددهم كان ثمانية مع الكلب ولم يكن ثلاثة رابعهم كلبهم أو خمسة سادسهم كلبهم ثم أكد كلامه بدلالة السياق في الاية الكريمة إذ عقب سبحانه وتعالى على القولين الاول والثاني بأنه رجم بالغيب ثم عقب على القول الثالث بقوله: (قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ) ثم أعقبه بقول ابن عباس ﷺ: "وقال ابن عباس رضى الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة" فلم يبق بعدها عدة يلفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات كما قال الزمخشري ، وهذا الكلام الذي قاله دافع فيه على اختياره ان هذه الواو هي الواو الداخلة على الجمل وليست واو الثمانية التي لم يذكرها البتة وكأنه لايعترف بها ولذا نجد ان ابن المنيّر استصوب قول الزمخشري فقال: "وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها واو الثمانية فان ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم"(ابن المنير،١٤٠٧هـ : ٢/٧١٣)، ولم يخرج من جاء بعد الزمخشري عما قاله الزمخشري خصوصا الذين اعتمدوا عليه في القضايا اللغوية،ومنهم البيضاوي(البيضاوي ،١٤١٨هـ:٣/٢٧٧) ،والذين تبنوا رأي الزمخشري في انها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف دفعوا الاعتراض الذي قد يرد وهو"أن دخول الواو على الصفة لم يقل به أحد من النحويين" (المرادي ،١٩٩٢م :١٦٩) ،وأن دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتاً وحكماً والواو في مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة

فأجيب بأن الواو ليست للمغايرة"بل هي تجردت لمحض الجمعية واللصوق فأن واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن معنى الجمعية فأذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦ فأن الهمزة فيه مسلوبة الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرد الاستواء كتمحض النداء في قولك:إنا نفعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال"(زاده ،١٩٩٩م: ٥/٤٦٣-٤٦٤).

وأما أبن عاشور فلم يتفق مع الزمخشري في عد هذه الواو"الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر..." (الزمخشري ،١٤٠٧هـ : ٢/٧١٣-٧١٤) ،بل جعل هذا القول مما لايعرف في فصيح الكلام فقال: "ولا وجه لجعل الواو فيه داخلة على جملة هي صفة للنكرة لقصد تأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما ذهب إليه في «الكشاف» لأنه غير معروف في فصيح الكلام: وقد رده السكاكي في المفتاح وغير واحد"(ابن عاشور، ٢٠٠٠م:١٥/٢٩٢)، وما قاله ابن عاشور لو قرأناه بعد ماقاله الشيخ محمد عرفة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) في حاشيته على مغني اللبيب لابن هشام لتبين لناالفرق بين القولين وبعد الغور في التمكن من اللغةوالنظرة العميقة للزمخشري فقدنقول–ولست جازماً في ذلك –أن ماذهب اليه الزمخشري من ان الواو في الاية الكريمة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وانها الداخلة على جملة الصفة هو الصواب كماتابعه(اعني الزمخشري) على ذلك بعض ائمة التفسير كالبيضاوي وغيره،قال الدسوقي : "قوله (لتأكيد لصوقها بموصوفها)أي لتفيد ان الصفة التصقت بموصوفها زيادة لصوق بمعنى انها ثبتت له ثبوتاً مؤكداً لازماً فالمراد باللصوق اللصوق المعنوي لا اللفظي ، وإلاّ فقد وجد الفصل بين الصفة والموصوف بالواو وايضاح المقام أن تقول: إن الجملة إذا كانت صفة فلابد من ضمير يربطها وقد وجد زيادة عليه الواو التي عهد الربط بها كما في الحال،لان من معانيها الجمع والجمع من ناحية الضم واللصوق فقد أفادت زيادة اللصوق وتأكيده (قوله اثبتها الزمخشري)الحامل له على ذلك أنه لما نظر الى قاعدة الجملبعد المعارف أحوال وبعد النكرات صفات قال:إنّ هذه الجمل صفات ،وقد وجد رابط زائد على الربط الاصلي ،اعني الضمير ،فليكن ذلك الرابط انما هو لتأكيد لصوقها بالموصوف لان الصفة ملوقة بالاسم والواو مفيدة لزيادة ذلك اللصوق فالزمخشري لم ينظر لقولهم انه لايفصل بين الصفة والموصوف ولو نظر الى ذلك لم يقل بها"(الدسوقي، ٢٠٠٧م: ٢/٧٧٧)،هذا التحليل لاختيار الزمخشري عندما نقرأه نعلم مدى عمق الفكر النحوي لهذا العالم النحرير، وقد صرح ابن هشام أنّ الزمخشري لم ير أن الواو مانعة للوفية قال رحمه الله: "ولم ير

الزمخشري وأبو البقاء واحدا منهما[الواو وإلاّ] مانعا وكلام النحويين بخلاف ذلك"(ابن هشام،٢٠٠٥م: ٩٣/٢).

وقد عدَّ ابن عاشور هذه الواو"واو الحال، وهي في موضع الحال من المبتدأ المحذوف، أو من اسم العدد الذي هو خبر المبتدأ، وهو وإن كان نكرة فإن وقوعه خبر عن معرفة أكسبه تعريفا. على أن وقوع الحال جملة مقترنة بالواو قد عد من مسوغات مجيء الحال من النكرة"(ابن عاشور،٢٠٠٠م :٢١/١٥-٢٩٢)،وقد ذكر ابن هشام هذا القول ونقل مايرد عليه من اعتراض فقال: "وَقيل هِيَ وَاو الْحَال وعَلى هَذَا فَيقدر الْمُبْتَدَأ اسْم اشارة أَي هَؤُلَاءِ سَبْعَة ليَكُون فِي الْكَلَام مَا يعْمل فِي الْحَال وَيرد ذَلِك أَن حذف عَامل الْحَال إِذا كَانَ معنويا مُمْتَنع وَلِهَذَا ردوا على الْمبرد قَوْله فِي بَيت الفرزدق:

... وَإِذا مَا مثلهم بشر

إِن مثلهم حَال ناصبها خبر مَحْذُوف أَي وَإِذ مَا فِي الْوُجُود بشر مماثلا لَهُم"(ابن هشام ،٢٠٠٥م :٢٦/٢)،لكن ابن هشام رحمه الله بعد ذلك ذكر في معاني الواو أن الواو في قوله تعالى﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ هي واو الحال قال:"والعاشر الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصوقها بموصوفها وإفادتها أن اتصافه بها أمر ثابت وهذه الواو أثبتها الزمخشري ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الواو فيها كلها واو الحال نحو﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ الآية ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾"(ابن هشام ،٢٠٠٥م :٢٧/٢-٢٨).

وماذهب اليه ابن عاشور في الرد على الزمخشري قد سبقه اليه من قبل ابو حيان الاندلسي فقد قال:" وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شيء لا يعرفه النحويون ، بل قرروا أنه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى إلاّ إذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالاً على المغايرة ، وأما إذا لم يختلف فلا يجوز العطف هذا في الأسماء المفردة ، وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها ، وقد ردوا على من ذهب إلى أن قول سيبويه ، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل هو على أن وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى ، وأن الواو دخلت في الجملة بأن ذلك ليس من كلام العرب مررت برجل ويأكل على تقدير الصفة . وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا﴾ فالجملة حالية ويكفي رداً لقول الزمخشري : إنّا لا نعلم أحداً من علماء النحو ذهب إلى ذلك"(الاندلسي ، ٢٠٠١م :١١٠/٦).

وقد ذكر ابن عاشور واو الثمانية في هذه الآية الكريمة لكن جعلها من غرائب الاقوال ،فقد عرض

اقوال العلماء فيها من دون ان يتبنى انها في هذا الموضع تعد من واو الثمانية فقال: "ومن غرائب فتن الابتكار في معاني القرآن قول من زعم: إن هذه الواو واو الثمانية، وهو منسوب في كتب العربية إلى بعض ضعفة النحاة ولم يعين مبتكره. وقد عد ابن هشام في «مغني اللبيب» من القائلين بذلك الحريري وبعض ضعفة النحاة كابن خالويه والثعلبي من المفسرين"(ابن عاشور،٢٠٠٠م : ٢٩٢/١٥)،وهذا الكلام منقول عن ابن هشام في كتابه(مغني اللبيب) (ابن هشام ،٢٠٠٥م :٢٥/٢) ،كما صرح هو بذلك لكنه استدرك على ابن هشام في بعض جزئيات كلامه "قلت: أقدم هؤلاء هو ابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠ فهو المقصود ببعض ضعفة النحاة"(ابن عاشور،٢٠٠٠ : ٢٩٢/١٥)،كما ذكر أن المصدر الذي اخذ منه ابن هشام كلامه –كما يظن ابن عاشور– هو من ابن المنير في حاشيته فقال: "أحسب وصفه[أي ابن خالويه] بهذا الوصف أخذه ابن هشام من كلام ابن المنير في «الانتصاف على الكشاف» من سورة التحريم إذ روي عن ابن الحاجب: أن القاضي الفاضل كان يعتقد أن الواو في قوله تعالى: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ في سورة التحريم [٥] هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية. وكان القاضي يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة، أحدها: التي في الصفة الثامنة في قوله تعالى:﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ في سورة براءة [١١٢] . والثانية: في قوله: ﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾.

والثالثة: في قوله:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ في الزمر [٧٣] ، قال ابن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوما بحضرة أبي الجود النحوي المقري فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بالواو هنا لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد إلى آخره"(ابن عاشور،٢٠٠٠ : ٢٩٢/١٥)، (ابن المنير، ١٤٠٧هـ :٥٥٤/٤) .

ثم رجع مرة اخرى الى ابن هشام ليذكر تعليق ابن هشام على ما نقله ابن المنير من كلام القاضي الفاضل ثم ليعلق هو ايضا على كلام ابن هشام مستدركا عليه فقال: "وقال في «المغني» : سبق الثعلبي الفاضل إلى عدها من المواضع في تفسيره ،وأقول: لعل الفاضل لم يطلع عليه،وزاد الثعلبي قوله تعالى: ﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ ﴾ في سورة الحاقة [٧] حيث قرن اسم عدد (ثمانية) بحرف الواو"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٢٩٢/١٥) .

ثم ختم كلامه عن هذا الموضوع بقوله: "ومن غريب الاتفاق إن كان لحقيقة الثمانية اعتلاق بالمواضع الخمسة المذكورة من القرآن إما بلفظه كما هنا وآية الحاقة، وإما بالانتهاء إليه كما في آية

براءة وآية التحريم، وإما بكون مسماه معدودا بعدد الثمانية كما في آية الزمر. ولقد يعد الانتباه إلى ذلك من اللطائف، ولا يبلغ أن يكون من المعارف. وإذا كانت كذلك ولم يكن لها ضابط مضبوط فليس من البعيد عد القاضي الفاضل منها آية سورة التحريم لأنها صادفت الثامنة في الذكر وإن لم تكن ثامنة في صفات الموصوفين، وكذلك لعد الثعلبي آية سورة الحاقة ومثل هذه اللطائف كالزهرة تشم ولا تحك،وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّـٰهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ في سورة براءة [١١٢]" (ابن عاشور،٢٠٠٠م:١٥/٢٩٢).

ولعل الباحث يستشف من كلام ابن عاشور رحمه الله ان الواو في الاية الكريمة لها معنى أولي او لنقل معنى اصلي وهو واو الحال ومعنى ثان يعد من اللطائف والنكت انها واو الثمانية فهو مثبت لها لا على ان لها ضابطا يضبطها وانما هي مما استنبطه العلماء من لطائف قرانية،وهذا الذي نثبته قد يكون هو الذي جعل الزخشري رحمه الله يقتصر على المعنى الأصلي للواو ولم يلتفت الى مايقوم على الاستنباط الذي يعد من اللطائف والنكت ،إذ ليس لهذه اللطائف والنكت ضابط يضبطها والله أعلم.

ولعل من باب ملح العلم ونافلة القول في هذا البحث أن ننقل عن أحد المعاصرين الذي استنبط من دخول الواو على قوله تعالى:" ﴾﴿"معنى ادبيا اخلاقيا ذوقيا وهو"فصل ما بين اصحاب الكهف الابرار الاطهار،وبين كلبهم النجس–الذي لم تغير رحلته معهم وحراسته لهم ،من حيوانيته ونجاسته–فبينما ذكره القولان السابقان معهم بدون،كانه واحد منهم،عطفه عليهم القول الثالث بالواو ،والعطف يقتضي التغاير"(الخالدي، ٢٠٠٩م:٤٢)(الخالدي، ١٩٨٩م : ٨٦–٨٨).

المطلب الثالث :

قول الزمخشري وابن عاشور في واو قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧٣

هذه الآية تتحدث عن حال المتقين يوم القيامة وكيف سيدخلون الجنة قال تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾الزمر:٧٣، وهذه الآية جاءت عقب الحديث عن أحوال الكافرين يوم القيامة وكيف سيدخلون جهنم– والعياذ بالله– وهي طريقة القرآن في ذكر الشيء ومقابله قال تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ

عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧١، والذي أثار أنتباه العلماء هو حذف الواو في سياق الحديث عن دخول الكافرين النار﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ ،اما في سياق الحديث عن دخول المتقين الجنة فان الواو ذكرت فيها﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ وقد عدَّت الواو في قوله﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ واو الثمانية عند العلماء الذين اثبتوا هذه الواو والذين ذكرناهم آنفا في التمهيد،اما موقف الزمخشري من هذه الواو فانها كسابقتيه لم يعدها من قبيل واو الثمانية بل ليس لهذه الواو ذكر عنده بل جعلها من قبيل (واو الحال) وقد استدل على هذا المعنى بآية اخرى في سورة اخرى لكن في نفس السياق وهو الحديث عن دخول المؤمنين الجنة فقال: "وفتحت أبوابها، أى مع فتح أبوابها.وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها. وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها، بدليل قوله﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ ص: ٥٠ فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها"(الزمخشري ،١٤٠٧هـ:٤/٤٧)،ولم يعلق ابن المنير (رحمه الله) في هذا الموضع بشيء عما قاله الزمخشري إذ هو موافق له في عدم عدّ هذا الواو (واو الثمانية) ،وقد سبق أن ذكر هذه الآية عند تفسير الآية التي وقفنا عندها في المطلب السابق وهي قوله تعالى:﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ الكهف:٢٢، فقد قال رحمه الله: "ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار، فأنه قال فيها فتحت أبوابها قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة.وهب أن في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهى إلى الثامن فتصحبه الواو"(ابن المنير،١٤٠٧هـ:٢/٧١٣)،وقد وافقه ابن هشام رحمه الله فقال: "قيل﴿ وَفُتِحَتۡ ﴾ فِي آيَة النَّار لِأَن أَبْوَابهَا سَبْعَة {وَفتحت} فِي آيَة الْجنَّة إِذْ أَبْوَابهَا ثَمَانِيَة وَأَقُول لَو كَانَ لواو الثَّمَانِية حَقِيقَة لم تكن الْآيَة مِنْهَا إِذْ لَيْسَ فِيهَا ذكر عدد الْبَتَّةَ وَإِنَّمَا فِيهَا ذكر الْأَبْوَاب وَهِي جمع لَا يدل على عدد خَاص ثمَّ الْوَاو لَيست دَاخِلَة عَلَيْهِ بل هِيَ جملَة هُوَ فِيهَا وَقد مر أَن الْوَاو فِي ﴿ وَفُتِحَتۡ ﴾ مقحمة عِنْد قوم وعاطفة عِنْد آخَرين وَقيل هِيَ وَاو الْحَال أَي جاؤوها مفتحة أَبْوَابهَا كَمَا صرح بمفتحة حَالا فِي ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ وَهَذَا قَول الْمبرد والفارسي وَجَمَاعَة قيل وَإِنَّمَا فتحت لَهُم قبل مجيئهم إِكْرَاما لَهُم عَن أَن يقفوا حَتَّى تفتح لَهُم"(ابن هشام ،٢٠٠٥م:٢/٢٦-٢٧).

اما ابن عاشور فقد وافق الزمخشري في عدم عدّ هذه الواو واو الثمانية كما وافقه في انها واو الحال فقال: "والواو في جملة وفتحت أبوابها واو الحال، أي حين جاءوها وقد فتحت أبوابها فوجدوا الأبواب مفتوحة على ما هو الشأن في اقتبال أهل الكرامة"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٢٤/٧١-٧٢)،وهذا الذي قاله

ابن عاشور رحمه الله لايخرج عما قاله الزركشي رحمه الله (ت٧٩٤هـ) من قبل والذي نقل لنا المناظرة التي حدثت بين ابن خالويه وابي علي الفارسي ثم علق عليه فقال : "والواو واو وحال وفي هذا ما حكى أنه اجتمع أبو علي الفارسي مع ابي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ في النار بغير واو وفي الجنة بالواو فقال ابن خالويه هذه الواو تسمى واو الثمانية لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو قال فنظر سيف الدولة إلى أبي علي وقال أحق هذا فقال أبو علي لا أقول كما قال إنما تركت الواو في النار لأنها مغلقة وكان مجيئهم شرطا في فتحها فقوله فتحت فيه معنى الشرط وأما قوله وفتحت في الجنة فهذه واو الحال كأنه قال جاءوها وهي مفتحة الأبواب أو هذه حالها، وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب ويشهد له أمران:

أحدهما: أن العادة مطردة شاهدة في إهانة المعذبين بالسجون من إغلاقها حتى يردوا عليها وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة واهتماما.

والثاني: النظير في قوله: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾.

وللنحويين في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الواو زائدة والجواب قوله: [فتحت] وهؤلاء قسمان منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ومنهم من لم يثبتها.

والثاني: أن الجواب محذوف عطف عليه قوله: [وفتحت] كأنه قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ ،قال الزجاج وغيره: وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه.

والثالث: أن الجواب محذوف آخر الكلام كأنه قال بعد الفراغ استقروا أو خلدوا أواستووا مما يقتضه المقام وليس فيه حذف معطوف ويحتمل أن يكون التقدير إذا جاءوها أذن لهم في دخولها وفتحت أبوابها المجيء ليس سببا مباشرا للفتح بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك" (الزركشي ،١٩٥٧م : ١٨٩/٣-١٩٠)،ويظهر في تفسير ابن عاشور لهذه الاية أنه لم يقبل أن تكون الواو فيها(واو الثمانية) لا استعمالاً ولا حتى لم يقبل أن تكون من قبيل اللطائف والنكت التفسيرية وقد زاد في هذا الموضع أنها لاطائل حت هذا المعنى لا من جهة معاني القران فضلا عن البلاغة قال: "وقد وهم في هذه الواو بعض النحاة مثل ابن خالويه والحريري وتبعهما الثعلبي في «تفسيره» فزعموا أنها واو تدخل على ما هو ثامن إما لأن فيه مادة ثمانية كقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢ ، فقالوا في ﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ جيء بالواو لأن أبواب الجنة ثمانية، وإما لأنه ثامن في التعداد نحو

قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ التوبة: ١١٢،فإنه الوصف الثامن في التعداد ووقوع هذه الواوات مصادفة غريبة، وتنبه أولئك إلى تلك المصادفة تنبه لطيف ولكنه لا طائل تحته في معاني القرآن بله بلاغته، وقد زينه ابن هشام في «مغني اللبيب» ، وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ التوبة: ١١٢، وعند قوله:﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ الكهف: ٢٢"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٢٤/٧٢)،والذي يبدو للباحث أن في قوله (وقد زينه ابن هشام) تصحيف وقع في هذه النسخة أعني طبعة الدار التونسية فالصحيح (وقد زيفه ابن هشام) بدليل قول ابن عاشور في موضع اخر ناقلا عن ابن هشام ومعلقا على كلامه"وقال ابن هشام في (مغني اللبيب) وذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن المفسرين كالثعلبي ، وزعموا أن العرب إذا عَدّوا قالوا : ستة سبعة وثمانية ، إيذاناً بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلُّوا بآيات إحداها...وأما قول الثعلبي: أن منها الواو في قوله تعالى: سبع ليال وثمانية أيام حسوما [الحاقة: ٧] فسهو بين وإنما هذه واو العطف اه. وأطال في خلال كلامه بردود ونقوض"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:١١/٤٢) ،والله اعلم.

المطلب الرابع قول الزمخشري وابن عاشور في واو قوله تعالى: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾التحريم: ٥، وردت هذه الواو في سياق الخطاب الموجه الى ازواج النبيﷺ فقد جاءت ضمن صفات الازواج التي وصفهن الحق ﷻ للنبيﷺ في حال لو طلق ﷺ ازواجه فقالﷻ :﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم: ٥ ، فالاية الكريمة ذكرت "صفات المرأة الصالحة النموذجية ودخلت (الواو)على الصفة الثامنة (وَأَبۡكَارٗا)،وهي مغايرة للصفة السابقة، فالمرأة إما أن تكون بكراً، وإما ان تكون ثيباً ولايمكن ان تجمع بين الصفتين"(الخالدي،٢٠٠٩م:٤١)، وقد اثارت(الواو) بين(ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا) جهود العلماء في التنقيب عن سبب دخولها بين الصفتين الاخيرتين،وهل هي(واو الثمانية)أو غيرها،فالعلماء القائلون بـ واو الثمانية عدوا هذه الواو في الاية الكريمة من قبيل(واو الثمانية)،اما الزمخشري فانه لم يعدهامن هذا القبيل بل عدّها من قبيل الوصل بين الصفتين المتضادتين بخلاف الصفات التي قبلها (مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ) فلم تدخل فيها الواو العاطفة لانه لاتضاد بينها وهذا القول عدّ بعد ذلك من شروط الفصل والوصل عند البلاغيين كما ذكرنا آنفا،يقول الزمخشري وقد اورد هذه

المسألة باسلوب الفنقلة: "فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ،ووسط بين الثيبات والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن ،في سائر الصفات، فلم يكن بد من الواو." (الكشاف ،١٤٠٧هـ:٤/٥٦٧-٥٦٨)،وقد وافق ابن المنير الزمخشري اتم الموافقة في عدم عدّ هذه الواو (واو الثمانية)،فكما ذكرنا انفا انه من المنكرين لها وقد فند القول بان الواو في هذه الاية من قبيل واو الثمانية في موضعين:

الأول: عند تعليقه على كلام الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢ ، قال رحمه الله : "وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله (ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا)لأنه وجدها مع الثامن، وهذا غلط فاحش، فان هذه واو التقسيم، ولو ذهبت تحذفها فتقول: ثيبات أبكارا، لم يسند الكلام، فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء"(ابن المنير ،١٤٠٧هـ:٢/٧١٣)،وقد ذهب الى هذا القول ابن هشام رحمه الله وقد أكد كلامه باستدلاله بما اعتمد عليه القائلون بـ(واو الثمانية) انفسهم: "وَالصَّوَاب أَن هَذِه الْوَاو وَقعت بَين صفتين هما تَقْسِيم لمن اشْتَمَل على جَمِيع الصِّفَات السَّابِقَة فَلَا يَصح إِسْقَاطهَا إِذْ لَا تَجْتَمِع الثيوبة والبكارة وواو الثَّمَانِية عِنْد الْقَائِل بهَا صَالِحَة للسقوط"(ابن هشام ، ٢٠٠٥م :٢/٢٧).

الموضع الثاني: في تفسير الزمخشري لهذه الآية وقد زاد هنا في رده لواو الثمانية قصة شيخه ابن الحاجب فقال:"وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب رحمه الله: أن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية، لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة، فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة، أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله التائبون العابدون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية في قوله وثامنهم كلبهم والثالثة في قوله وفتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب: ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوما بحضرة أبى الجود النحوي المقري فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل، وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها هاهنا، لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد، وواو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا للاشعار بتمام نهاية العدد الذي هو السبعة، فأنصفه الفاضل رحمه الله، واستحسن ذلك منه وقال: أرشدنا يا أبا الجود"(ابن المنير،١٤٠٧هـ:٤/٥٦٧)،وهذه القصة التي ذكرها ابن المنير اراد من خلالها التاكيد على نفي (واو الثمانية)كما واكد ماذهب اليه الزمخشري من عدم الاعتداد بها، وقد نقل هذه القصة عن ابن المنير ابن هشام عند حديثه عن واو الثمانية وتفنيده لها كذلك نقلها ابن عاشور كما ذكرنا انفا في المطلب السابق.

اما ابن عاشور فلم يخرج عما قاله الزمخشري وانما توسع في العبارة وزاد في الفائدة فقال: "ولم يعطف بعضها على بعض الواو، لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن ولو عطفت بالواو لاحتمل أن تكون الواو للتقسيم، أي تقسيم الأزواج إلى من يثبت لهن بعض تلك الصفات دون بعض، ألا ترى أنه لما أريدت إفادة ثبوت إحدى صفتين دون أخرى من النعتين الواقعين بعد ذلك كيف عطف بالواو قوله: وأبكارا لأن الثيبات لا يوصفن بأبكار، والأبكار لا يوصفن بالثيبات" (ابن عاشور، ٢٠٠٠م:٢٨/٣٦١-٣٦٢)، يعني ان الواو عند ابن عاشور أفادت في هذا الموضع معنى التقسيم.

أما عن واو الثمانية فقد توسع ابن عاشور في الوقوف على هذا المعنى في الآية الكريمة توسعا زاد فيما تعرض اليه من قبل في الايات السابقة لكنه في بعض اجزائه تكرار فقد أعاد في كلامه ذكر ابن خالويه والحريري والثعالبي المفسر والقاضي الفاضل فأورد الايات التي اعتمدوا عليها في استنباطهم لهذه الواو لكنه نبه هنا الى الضابطة التي اعتمدوا عليها في استنباطهم لهذه الواو وهي أنّ كل واو جاءت مع امر معدود بعدد سواء كان وصفا مشتقا من عدد ثمانية او كان ذاتا ثامنة او كان يشتمل على ثمانية سواء كان مفردا او كان جملة،وهذا نص كلامه: "ومن غرائب المسائل الأديبة المتعلقة بهذه الآية أن الواو في قوله تعالى:﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾، زعمها ابن خالويه واوا لها استعمال خاص ولقبها بواو الثمانية (بفتح المثلثة وتخفيف التحتية بعد النون) وتبعه جماعة ذكروا منهم الحريري والثعلبي النيسابوري المفسر والقاضي الفاضل. أنهم استخرجوا من القرآن أن ما فيه معنى عدد ثمانية تدخل عليه واو ويظهر من الأمثلة التي مثلوا بها أنهم يعتبرون ما دل على أمر معدود بعدد كما فيه سواء كان وصفا مشتقا من عدد ثمانية أو كان ذاتا ثامنة أو كان يشتمل على ثمانية سواء كان ذلك مفردا أو كان جملة. فقد مثلوا بقوله تعالى في سورة براءة [١١٢] :﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ،قالوا لم يعطف الصفات المسرودة بالواو إلا عند البلوغ إلى الصفة الثامنة وهي الناهون عن المنكر. وجعلوا من هذا القبيل آية سورة التحريم إذ لم يعطف من الصفات المبدوءة بقوله: مسلمات إلا الثامنة وهي وأبكارا ومثلوا لما وصف فيه بوصف ثامن بقوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ في سورة الكهف [٢٢] . فلم يعطف رابعهم ولا سادسهم وعطفت الجملة التي وقع فيها وصف الثامن بواو عطف الجمل. ومثلوا لما فيه كلمة ثمانية بقوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا ﴾ في سورة الحاقة [٧] . ومثلوا لما يشتمل على ثمانية أسماء بقوله تعالى

في سورة الزمر [٧٣] : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ قالوا جاءت جملة وفتحت هذه بالواو ولم تجيء أختها المذكورة قبلها وهي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧١ ،لأن أبواب الجنة ثمانية.وترددت كلماتهم في أن هذه الواو من صنف الواو العاطفة يمتاز عن الصنف الآخر يلزم ذكره إذا كان في المعطوف معنى الثامن أو من صنف الواو الزائدة"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م:٢٨/٣٦٢-٣٦٣)،اما اضافته في الحديث عن واو الثمانية في هذه الاية والتي لم يتعرض لها فيما سبق انه نقل عن أربعة من العلماء هم الدماميني(ت٨٢٧ هـ) والسهيلي(ت٥٨١ هـ) والطيبي(ت٧٤٣هـ) والقزويني فضلاً عن ابن المنير الذي نقل قصة شيخه ابن الحاجب عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ الكهف: ٢٢ ، إذ نقل هذه القصة هناك وان كان ابن المنير ذكرها في تفسير هذه الاية الكريمة من سورة التحريم إلاّ ان الاضافة عند ابن عاشور في هذا الموضع هو تعليقه على هذه القصة وليس مجرد النقل فقط كما هناك ، وقد نقل كلام هؤلاء العلماء على هذا الترتيب:

اولاً: قول الدماميني،قال ابن عاشور: "وذكر الدماميني في «الحواشي» الهندية على «المغني» أنه رأى في «تفسير العماد الكندي» قاضي الإسكندرية (المتوفى في نحو عشرين وسبعمائة) نسبة القول بإثبات واو الثمانية إلى عبد الله الكفيف المالقي النحوي الغرناطي من علماء غرناطة في مدة الأمير ابن حبوس (بموحدة بعد الحاء المهملة) هو باديس بن حبوس صاحب غرناطة سنة ٤٢٠"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م:٢٨/٣٦٣).

ثانياً: قول السهيلي، قال ابن عاشور: "وذكر السهيلي في «الروض الأنف» عند الكلام على نزول سورة الكهف أنه أفرد الكلام على الواو التي يسميها بعض الناس واو الثمانية بابا طويلا ولم يبد رأيه في إثباتها ولم أقف على الموضع الذي أفرد فيه الكلام عليها. ويظهر أنه غير موافق على إثبات هذا الاستعمال لها"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م:٢٨/٣٦٣-٣٦٤)، وهذا الذي رجحه ابن عاشور ان السهيلي هو غير موافق على اثبات هذا الواو هو – في ظن كاتب هذا البحث– صحيح لان السهيلي قال في كتابه (الروض الانف) : "قول الله سبحانه﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾الكهف: ٢٢ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس واو الثمانية بابا طويلا، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر تقديره نعم وثامنهم كلبهم وذلك أن قائلا لو قال إن زيدا شاعر فقلت له وفقيه كنت قد صدقته، كأنك قلت: نعم هو كذلك وفقيه أيضا، وفي الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتوضأ بما أفضلت الحمر؟ فقال: "وبما

أفضلت السباع"(الدار قطني،٢٠٠٤م:١/١٠١)، يريد نعم وبما أفضلت السباع. خرجه الدارقطني. وفي التنزيل﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ ﴾ البقرة: ١٢٦ ،هو من هذا الباب. فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ ﴾ فقال سبحانه﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ وليس كذلك سادسهم كلبهم ورابعهم كلبهم لأنه في موضع النعت لما قبله فهو داخل تحت قوله سبحانه ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ ولم يقل ذلك في آخر القصة" (السهيلي، ٢٠٠٠م:٣/٨٢-٨٣)،،وأظن – والله اعلم –أن الباب الذي افرده السهيلي لهذه الواو هو ماذكره في كتابه (نتائج الفكر) فقد أفرد فيه فيه بابا للعطف وذكر فيه عدة مسائل منها مسألة (في حذف حرف العطف) وقد ذكر فيها قوله تعالى:﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ فقال:"لا يجوز إضمار حروف العطف، خلافاً للفارسي ومن قال بقوله، لأن الحروف أدلة على معان في نفس المتكلم، فلو أضمرت لاحتاج المخاطب إلى وحي يسفر به عما في نفس مُكلِّمه وحكم حروف العطف في هذا حكم حروف النفي والتوكيد والتمني والترجي وغير ذلك، اللهم إلا أن حروف الاستفهام قد يسوغ إضمارها في بعض المواطن، لأن للمستفهم هيئة تخالف هيئة المخبر، إلا أنهم احتجوا لمذهبهم بآي من كتاب الله تعالى، وأشياء من كلام العرب هي عند التأمل والتحصيل حجة عليهم، كقول الشاعر:

كيف أصبحت كيف أمسيت ... مما يثبت الود في فُؤاد الكريم

هو عندهم على إضمار حرف العطف، ولو كان كذلك لانحصر إثبات الود في هاتين الكلمتين من غير مواظبة ولا استمرار عليهما،ولم يرد الشاعر ذلك، وإنما أراد أن يجعل أول الكلام ترجمة على سائره،يريد الاستمرار على هذا الكلام والمواظبة عليه، كما تقول: قرأت ألفاً باء، جعلت ذكر هذين الحرفين ترجمةً لسائر الباب وعنواناً للغرض المقصود.

ولو قلت: قرأت ألفاً وباء، لأشعرت بانقضاء المقروء حيث عطفت الباء على الألف دونما بعدها، فكان مفهوم الخطاب أنك لم تقرأ غير هذين الحرفين،ألا ترى كيف أشعرت الواو العاطفة في قوله سبحانه:(وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ) ، على انقضاء العدد المتنازع فيه" (السهيلي ،١٩٩٢م :٢٠٨).

ولم يخف ابن عاشور تعجبه من تنبه هؤلاء العلماء الى(واو الثمانية)وانها جاءت مع الايات التي أشارت الى العدد ثمانية اما تصريحا او بالمعنى،قال رحمه الله: "ومن عجيب الصدف ما اتفق في هذه الآيات الأربع من مثير شبهة للذين أثبتوا هذا المعنى في معاني الواو. ومن غريب الفطنة تنبه الذي أنبأ بهذا"(ابن عاشور ،٢٠٠٠م :٢٨/٣٦٤).

ثالثاً: قول ابن المنيّر،وقد نقل ابن عاشور قصة شيخ ابن المنيّر إلاّ أنّه هنا ذكرها معلقا عليها وليس

ناقلاً لها فقط كما في سورة الكهف،فقال: "وذكر ابن المنير في «الانتصاف» أن شيخه ابن الحاجب ذكر له أن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب كان يعتقد أن الواو في قوله تعالى: وأبكارا هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية،وكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة إلى أن ذكره يوما بحضيرة أبي الجود النحوي المقري، فبين لهم أنه واهم في عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري في دعاء اللزوم إلى الإتيان بالواو هنا لامتناع اجتماع هذين الصنفين في موصوف واحد،فأنصفه الفاضل وقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

قلت: وأرى أن القاضي الفاضل تعجل التسليم لأبي الجود إذ كان له أن يقول: إنا لم نلتزم أن يكون المعدود الثامن مستقلاً أو قسيماً لغيره وإنما تتبعنا ما فيه إشعار بعدد ثمانية" (ابن عاشور،٢٠٠٠م :٣٦٤/٢٨).

رابعاً: قول الطيبي والقزويني،قال ابن عاشور: "ونقل الطيبي والقزويني في «حاشيتي الكشاف» أنه روى عن صاحب «الكشاف» أنه قال: الواو تدخل في الثامن كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف: ٢٢، وقوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ الزمر: ٧٣ ،ويسمونه واو الثمانية وهي كذلك، وليس بشيء. قال الراوي عنه وقد قال لنا عند قراءة هذا الموضع: أنسيتم واو الثمانية عند جوابي هذا (أي يلومهم على إهمالهم ذلك المعنى في تلك الآية) أي هو جواب حسن وذلك خطأ محض لا يجوز أن يؤخذ به ا.هـ"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٣٦٤/٢٨).

ولم يسكت ابن عاشور عن هذا النقل الذي وجده مخالفا لما هو موجود بين ايدينا من نسخ الكشاف التي لايوجد لـ واو الثمانية ذكر البتة في كلام الزمخشري فقال معلقا على هذا النقل : "قلت: وهذا يخالف صريح كلامه في «الكشاف» فلعل الراوي لم يحسن تحرير مراد صاحب «الكشاف» ، أو لعل صاحب «الكشاف» لم ير منافاة بين لزوم ذكر الواوين اقتضاء المقام ذكرها بأن المعطوف بها ثامن في الذكر فإن النكت لا تتزاحم فتأمل بتدقيق"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٣٦٤/٢٨) ،ثم ختم كلامه رحمه الله بالاشارة الى انه وقف على هذه الواو في الايات السابقة فقال: "وتقدم الكلام على واو الثمانية عند قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ الآية في سورة براءة [١١٢] . وعند قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ في سورة الكهف [٢٢] ، وتقدمت في سورة الزمر وفي سورة الحاقة"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٣٦٤/٢٨)،وينبغي التنبه الى ان ابن هشام لم يعد هذه الواو داخلة على الصفة الثامنة وانما هي التاسعة ،وقد اجاب عما يبدو انه اعتراض على هذا القول فقال: "ثَمَّ إِن {أَبْكَارًا} صفة تاسعة

لَا ثامنة إِذْ أول الصِّفَات﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ لَا {مسلمات} فَإِن أجَاب بِأَن مسلمات وَمَا بعده تَفْصِيل لخيرا مِنْكُن فَلهَذَا لم تعد قسيمة لَهَا قُلْنَا وَكَذَلِك ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ تَفْصِيل للصفات السَّابِقَة فَلَا نعدهما مَعَهُنَّ"(ابن هشام ، ٢٠٠٥م:٢/٢٧).

اما البلاغيون فكما ذكرنا آنفاً أن شرط العطف عندهم أن يكون بين المفردات مناسبة وتجانس،وايضا ذكر البلاغيون ان الصفات لايعطف بعضها على بعض إلاّ اذا كانت متضادة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ فقد جاءت الواو بينهما لانهما متضادان(فيود،٢٠٠٤م: ٣٤٨-٣٤٩)،"فإن الثيوبة والبكارة متضادتان فلا يجتمعان في محل واحد بخلاف الاسلام والإيمان والقنوت والتوبة والعبادة والسياحة فكلها قد تجتمع في محل واحد" (عامر،١٩٥م:١٨).

المطلب الخامس:

قول الزمخشري وابن عاشور في واو قوله تعالى:﴿ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة:٧ وردت هذه الواو في حديث القرآن عن عذاب عاد وكيف اهلكهم الله ﷻ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة: ٦ – ٧ "تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة"(الزمخشري ،١٤٠٧هـ :٤/٥٩٨)، ولم يتعرض لـ واو الثمانية هنا كما في المواضع السابقة بل ولم يتكلم عن الواو أصلاً وانما تعرض لمعنى(حُسُومًا) (الزمخشري ،١٤٠٧هـ: ٤/٥٩٩).

أما ابن عاشور فلم يتعرض لـ(واو الثمانية) في قوله تعالى: "ٱلْبَتَّةَ" "البتة في تفسيره لهذه الاية وانما فصل القول في كلمة(حُسُومًا) (ابن عاشور،٢٠٠٠م:٢٩/١١٧) مع انه اشار اليها في اكثر من موضع قال في تفسير قوله تعالى﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ التوبة: ١١٢، نقلا عن ابن هشام في رده لـ واو الثمانية: "وأما قول الثعلبي: أن منها الواو في قوله تعالى:﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة: ٧ فسهو بين وإنما هذه واو العطف اه. وأطال في خلال كلامه بردود ونقوض"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:١١/٤٣)،وايضا ذكر في تفسير قوله تعالى :﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف: ٢٢ ، أن الثعلبي اثبت واو الثمانية في قوله تعالى:(وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) فقال:" وزاد الثعلبي قوله تعالى:

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة: ٧ حيث قرن اسم عدد (وَثَمَٰنِيَةَ) بحرف الواو"(ابن عاشور،٢٠٠٠ م :١٥/٢٩٢)، ثم قال وهو يتكلم عن واو الثمانية "وإذا كانت كذلك ولم يكن لها ضابط مضبوط فليس

من البعيد عد القاضي الفاضل منها آية سورة التحريم لأنها صادفت الثامنة في الذكر وإن لم تكن ثامنة في صفات الموصوفين، وكذلك لعد الثعلبي آية سورة الحاقة ومثل هذه اللطائف كالزهرة تشم ولا تحك"(ابن عاشور،٢٠٠٠م:٢٩٣/١٥)،وقال في تفسيره﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم: ٥،بعد اطنابه في الحديث عن واو الثمانية"وتقدم الكلام على واو الثمانية عند قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ الآية في سورة براءة [١١٢] . وعند قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ في سورة الكهف [٢٢] ، وتقدمت في سورة الزمر وفي سورة الحاقة." (ابن عاشور،٢٠٠٠م:٣٦٤/٢٨)، فهو يشير الى انه سيتحدث عن واو الثمانية ولكنه لم يفعل ويمكن ان نلتمس له عذرا انه اكتفى بما نقله من قبل عن واو الثمانية من اقوال العلماء وكذلك ما ابداه من رأي فيها مما اغناه عن اعادته في تفسيره لسورة الحاقة والله اعلم.

الخاتمة

بفضل الله ومنته وصل البحث الى نهاية مسيرته التي قدّر له أن يسير فيها ، وسنقف على أهم النتائج التي توصلنا اليها ، والتي يمكن لنا أن نجملها بالاتي :

- لقد أدلى النحاة بدلوهم في هذه المسألة (واو الثمانية) فظهر عندهم اتجاهان متقاطعان احدهما يثبت هذه الواو والآخر ينفيها .

- الواو في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾التوبة: ١١٢ ، لم يذكرها الزمخشري أصلا وكأنه لايعتد بمعنى واو الثمانية وانه من النافيين لها،أما ابن عاشور فذكر انه استعمال ثابت في اللغة وانه مطرد في المعدود الثامن في الترتيب الذكري في الايات القرانية،أما الذي يأتي في الترتيب الثامن في المعنى فهي نكتة لطيفة استخرجها العلماء بأذهانهم الثاقبة فجزاهم الله خير الجزاء .

- الواو في قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ ،لم يتفق ابن عاشور مع الزمخشري في عد هذه الواو هي الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر ،بل جعل هذا القول مما لايعرف في فصيح الكلام ، وقد عدَّ ابن عاشور هذه الواو واو الحال ، وقد ذكر ابن عاشور واو الثمانية في هذه الاية الكريمة لكن جعلها من غرائب الاقوال ،فقد عرض اقوال العلماء فيها من دون ان يتبنى انها في هذا الموضع تعد من واو الثمانية.

- الواو في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣، وافق ابن عاشور الزمخشري في عدم عدّ هذه الواو واو الثمانية كما وافقه في انها واو الحال.

- الواو في قوله تعالى:﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ التحريم: ٥ ، اثارت هذه (الواو)بين(ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا) جهود العلماء في التنقيب عن سبب دخولها بين الصفتين الاخيرتين،وهل هي(واو الثمانية)أو غيرها،فالعلماء القائلون بـ واو الثمانية عدوا هذه الواو في الاية الكريمة من قبيل(واو الثمانية)،اما الزمخشري فانه لم يعدهامن هذا القبيل بل عدّها من قبيل الوصل بين الصفتين المتضادتين بخلاف الصفات التي قبلها (مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ) فلم تدخل فيها الواو العاطفة لانه لاتضاد بينها وهذا القول عدّ بعد ذلك من شروط الفصل والوصل عند البلاغيين ، اما ابن عاشور فلم يخرج عما قاله الزمخشري وانما توسع في العبارة وزاد في الفائدة .

- الواو في قوله تعالى: ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ ﴾ الحاقة: ٧ ، لم يتعرض الزمخشري لـ واو الثمانية هنا كما في المواضع السابقة بل ولم يتكلم عن الواو اصلا وانما تعرض لمعنى (حُسُومٗاۖ) ، اما ابن عاشور فلم يتعرض لـ(واو الثمانية) في قوله تعالى:((وَثَمَٰنِيَةَ))البتة في تفسيره لهذه الاية وانما فصل القول في كلمة(حُسُومٗاۖ) مع انه اشار اليها في اكثر من موضع ، ويمكن ان نلتمس له عذرا انه اكتفى بما نقله من قبل عن واو الثمانية من اقوال العلماء وكذلك ما ابداه من رأي فيها مما اغناه عن اعادته في تفسيره لسورة الحاقة والله اعلم.

- لم يتعرض الزمخشري لـ واو الثمانية في جميع المواضع التي وقفنا عليها بل وفي القران كله وتفسيره يشهد على ذلك ، اما ابن عاشور فكلامه كان يدور بين اثبات لها من قبيل النكت واللطائف ،وما بين النفي لها كمعنى من المعاني الي تخرج اليها الواو.

- لم يتعرض البلاغيون فيما كتبوه عن الفصل والوصل لمعاني الواو غير أنها تفيد الجمع والتشريك ،فلم يتعرضوا لمعانيها ، ومنها انها تأتي مع العدد ثمانية أو الذي في ترتيبه الثامن أو الذي هو في المعنى ثامنا ،فهم اذاً لم يتعرضوا للواو التي اطلق عليها النحاة انها(واو الثمانية) ، وقد كان موقفهم من هذه الواو قي جميع المواضع واضحا من انها ليست(واو الثمانية)وانما هي واو دخلت بين الصفات التي بينها تضاد ، اما اذا انتفى هذا الشرط بين الصفات اعني لم يكن بين الصفات تضاد فانها تذكر بلا عطف.

ثبت المصادر والمراجع

١- ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)١٤٠١ هـ ،الحجة في القراءات السبع تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم ط٤،دار الشروق – بيروت.

٢- ابن عاشور ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)٢٠٠٠م ،التحرير والتنوير، ط١، بيروت.

٣- ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) ١٩٩٣م ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ط١، دار الكتب العلمية – لبنان.

٤- ابن هشام ، جمال الدين أبومحمد عبدالله بن يوسف بن أحمدبن عبدالله ابن يوسف (ت٧٦١هـ) ٢٠٠٥م ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،(د.ط)،تحقيق:محمد محيي الدين عبدالحميد،دار الطلائع،مصر.

٥- أبو موسى ،د. محمد حسنين (د.ت).،البلاغة القرانية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ،(د.ط)،،دار الفكر العربي،القاهرة.

٦- الاسكندري، أحمد بن منير (١٩٨٧) : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، (بذيل كشاف الزمخشري)، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت .

٧- الأندلسي ،أبو حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) ٢٠٠١م ،البحر المحيط، ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرون ، ط١، بيروت.

٨- البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ) ١٤١٨ هـ، انوار التنزيل واسرار التأويل، ط١،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩- الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ) ٢٠٠٢ م،الكشف والبيان عن تفسير القرآنتحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،ط١،، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٠- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ١٤٢٣ هـ ،البيان والتبيين،(د.ط)،دار ومكتبة الهلال، بيروت.

١١- الجرجاني،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ) ١٩٩٢م ، دلائل الإعجازتحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣،مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.

١٢- الحريري، ابو محمد القاسم بن علي (ت٥١٦هـ)(د.ت)،درة الغواص في اوهام الخواص،تاليف،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط) ، نهضة مصر للطبع والنشر.

١٣- حسين ،د.حامد عبدالهادي٢٠٠٧م.،البلاغة والمعنى في النص القرآني تفسير أبي السعود أنموذجا،(د،ط)، جمهورية العراق ،ديوان الوقف السني.

١٤- الخالدي ،د.صلاح عبدالفتاح ١٩٨٩م ،مع قصص السابقين في القران ،ط١، دار القلم ،دمشق.

١٥- الخالدي ،د.صلاح عبدالفتاح ٢٠٠٩م ،لطائف قرآنية ،ط٤ ، دمشق.

١٦- الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ) ٢٠٠٤ م ،سنن الدارقطني،حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم،ط١،مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان .

١٧- الدسوقي، محمد بن عرفة (ت١٢٣٢ هـ)، ٢٠٠٧م ،حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق :ا.د.عبدالحميد هنداوي ،ط١،المكتبة العصرية ،لبنان.

١٨- الذهبي ،د. محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ) (د.ت)،التفسير والمفسرون،(د.ط) مكتبة وهبة، القاهرة .

١٩- زادة ،محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي(ت٩٥١هـ) ١٩٩٩م ، حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي ضبطه وصححه وخرّج احاديثه:محمد عبدالقادر شاهين ط١،بيروت.

٢٠- الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (ت٧٩٤ هـ) ١٩٥٧ م ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط١،دار المعرفة – بيروت .

٢١- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت ٥٣٨هـ) ١٤٠٧ هـ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣ ،دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٢- الزملكاني ،كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم (٦٥١هـ) ١٩٧٤م ،البرهان الكاشف عن اعجاز القران ، تحقيق: د.احمد مطلوب،و د.خديجة الحديثي،(د.ط) ،رئاسة ديوان الوقف السني،مطبعة العاني،بغداد.

٢٣- سلطان ،د.منير (د.ت)،الفصل والوصل في القرآن الكريم ط٢،منشأة المعارف بالإسكندرية.

٢٤- السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي(ت٣٧٥هـ)١٩٩٣م ،بحر العلوم ،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ود.زكريا عبدالمجيد النّوتي،ط١،دار الكب العلمية،بيروت–لبنان.

٢٥- السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف (المتوفى: ٧٥٦هـ) (د.ت).،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق:د. أحمد محمد الخراط،(د.ط)، دار القلم، دمشق.

٢٦- السهيلي ،أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد (ت ٥٨١هـ) ٢٠٠٠م ،الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،تحقيق: عمر عبد السلام السلامي،،ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٧- السهيلي ،أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ) ١٩٩٢ م. ، نتائج الفكر في النَّحو،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨- عامر ،د. فتحي احمد ١٩٧٥م ، فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القران الكريم (د.ط)، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة .

٢٩- عباس ، د. فضل حسن١٩٨٧م ، البلاغة فنونها وافنانها(علم المعاني)،ط١،الاردن.

٣٠- عبدالمطلب ، د.محمد ١٩٩٤م ،البلاغة والاسلوبية، ط١،الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان،مصر.

٣١- العلائي،صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي (ت ٧٦١هـ) ١٩٩٠م ، الفصول المفيدة في الواو المزيدةتحقيق: حسن موسى الشاعر ط١،دار البشير – عمان.

٣٢- العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت ٧٤٥هـ) ١٤٢٣هـ ،الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ط ١ ،المكتبة العنصرية – بيروت .

٣٣- العمري ،عمر بن عبدالله واو الثمانية ، Omari_174@hotmail.com ، وموقع المكتبة الشاملة http://www.shamela.ws.

٣٤- الغالي ،د.بلقاسم ١٩٩٦م ، شيخ الجامع الاعظم :الطاهر ابن عاشور حياته واثاره ، ط١،دار ابن حزم.

٣٥- الغزالي ، شعيب بن احمد بن محمد ١٤٣٥هـ ،مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور،اطروحة دكتوراه تقدم بها ،الى كلية اللغة العربية في جامعة ام القرى في المملكة العربية السعودية،بأشراف أ.د.عبدالحافظ ابراهيم البقري.

٣٦- فيود ،د.بسيوني ٢٠٠٤م ،عبدالفتاح علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ،ط٢ ،مؤسسة المختار،القاهرة.

٣٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١ هـ) ٢٠٠٣ م، الجامع لاحكام القران حقيق: هشام سمير البخاري،(د.ط)، ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٨- القزويني، جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، (د.ت) ،الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط)، دار الجيل – بيروت.

٣٩- المرادي،الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ) ١٩٩٢م،الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق:د.فخر الدين قباوة،والاستاذ.محمد نديم فاضل،ط١،بيروت.

٤٠- المطعني،د.عبد العظيم إبراهيم محمد (ت ١٤٢٩هـ)١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١، مكتبة وهبة.

٤١- الهروي ،علي بن محمد النحوي (ت٤١٥هـ) ١٩٩٣م ، كتاب الأزهية في علم الحروف ، ، تحقيق: عبد المعين الملوحي ط٢،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.